التي تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود
من علم الآخرة **وأما ما يذم** فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة
والعداوة والبغضاء والطمع والمخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء
والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهات والاستكبار عن الحق
والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال
عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة
الانتصار للنفس إذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على
عداوة السر والأمن من مكر الله في سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخديعة
والخادعة وطول الأمل والقسوة والغفلة والفرح بالدنيا والأسى على فواتها والأنس
بالمخلوقين والوحشة لفراقهم واللجاج والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة
فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة
وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدودها وهذه الأمور
وحقايقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها وهو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء
الآخرة والمعروض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال
الظاهرة هالك بسيوف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض
العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه
عن معنى من هذه المعاني التي حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجد الأحزان
عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عين على الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألت
عن الظهار واللعان والسبق والرهي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة
التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم يخل البلد عن يقوم بها و
يكفيه مؤونة التعب فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظها ودرسها ويغفل
عما هو مهم نفسه في الدين وإذا رجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض

الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والغبن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق
الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد
ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء ومن أحكام
الفقه ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لأنه يسمى الخلافيات والجدليات
وأهله مشحونون من الفقهاء وبمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقايع قليلا شعرى
كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وأهمال ما لا قائم
به كهل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر التوصل به إلى تولي الأوقاف والوصايا و
حيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على
الأعداء هيهات هيهات فما اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان
واليه الملاذ إن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان
أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي
رحمه الله يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي في المكتب ويسأله كيف
يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق بما
علمناه وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن
في علم الظاهر بمنزلتهما فكانا يسألانه كيف نفعل وقيل قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قيل
قيل كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله فقال سلوا
لصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك
وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي إذا قمت من عندي
فمن تجالسني فقلت الحارسبي فقال لي تؤخذ من علم وأدب وتدع عنك تشقيق الكلام
ورد على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا
جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف
أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فإن قلت لم تورد في أقسام العلوم
الكلام والفلسفة ولم تبين أنهما مذمومان أو محمودان فاعلم أن حاصل ما يشتمل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)